سلسلة قصص كليلة ودمنة

القُبَّرةُ والفيل





أَخَذَ الفِيلُ المَغْرورُ  يتَمايَلُ يَميناً وشِمالاً وهُوَ يَشُقُّ طَريقَهُ إلى البِرْكةِ، بَيْنَ الشُّجَيْراتِ الصَّغيرَةِ والحَشائِشِ الخَضْراءِ.

وبَدا عَلَيْهِ السُّرورُ وهُوَ يَمُدُّ خُرْطُومَهُ إلى الماءِ لِيشرَبَ مِنْهُ، ويَرُشَّهُ عَلى جَسَدِهِ الضَّخْمِ.

في أَثْناءِ عَوْدَتِهِ تَملَّكَهُ الطَّرَبُ، فَأَخَذَ يُغَنِّي بِصوْتٍ عالٍ ويَتَراقَصُ، واهْتَزَّتِ الأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. وَتحَطَّمَتِ الشُّجَيْراتُ المِسْكِينَةُ، واقْتُلِعتِ  الحَشائِشُ الغَضَّةُ.



خَشِيَتِ الحَيَواناتُ على نَفْسِها فَأَخَذَتْ تَفِرُّ مِنْ أمامِهِ، لكِنَّهُ لَمْ يَكْتَرِثِ البَتَّةَ.

حِينما أَبْصَرَتْهُ القُبَّرَةُ مِنْ بَعِيدٍ، شَعَرَتْ بِقَلَقٍ شَدِيدٍ عَلى عُشِّها فَأسْرَعَتْ إِلَيْهِ لكي تَتَفَقَّدَهُ.



لَكِنْ لِسُوءِ حَظِّها، كانَ الفِيلُ قَدْ سَحَقَ العُشَّ ، وحَطَّمَ ما فيهِ مِنْ بَيْضٍ.

تَمَلَّكَ القُبَّرَةَ حُزْنٌ شَدِيدٌ، فَبَكَتْ بِمَرارَةٍ. وتَمَنَّتْ لَوْ أَنَّها لَمْ تَعِشْ لِتَرى مِثْلَ هَذا المَنْظَرِ الرَّهِيبِ.



ويَعْدما أفاقَت مِنْ ذُهولِها، لَحِقَتْ بِالفيلِ

وحَطَّتْ فَوْقَ رَأْسِهِ.

لمْ يَشْعُرِ الْفِيلُ بِثِقْلِها، ولكنَّ

دُموعَها الحارّةَ بلَّلتْ جَبينَه.

فَصاحَ بِها: "ماذا تُريدين؟".

رَدَّتِ القُبَّرَةُ قائلةً: "ما أَقْسى

قَلْبَكَ أَيُّها الفِيلُ! لَقَدْ هَشَّمْتَ



بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِرَاخِي".

أَجَابَ دُونَما اكْتِرَاثٍ: "نَعَمْ. لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِك".

فَسَأَلَتْهُ القُبَّرَةُ: "لِمَ فَعَلْتَ ذَلكَ، ألأنّي صَغِيرَةٌ

وَضَعِيفَةٌ؟".



رَدَّ بِاحْتِقارٍ: "هيّا ابْتَعِدِي عَنِّي. فلا وَقْتَ لَدَيَّ لِمِثْلِ هذا الكَلامِ".

لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِ القُبَّرَةِ أَنْ تَفْعَلَ شَيئاً، فَصَفَّقَتْ بِجناحَيها وطارَتْ مُبْتَعِدَةً عَنْهُ. مَرَّتْ أَيَّامٌ وهِيَ حَزْينةٌ ومكتئبةٌ جداً.

وَلَمْ يُحاوِلِ الفِيلُ أَن يَعْتَذِرَ إِلَيْها، أوْ يُبْدِيَ شَيْئاً مِنَ النَّدَمِ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنهُ.

ذَهَبَتْ إلى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الغِرْبانِ، وَشَكَتْ إِلَيْها مَا فَعَلَهُ الفِيلُ بِعُشِّها.

قالَتِ الغِرْبانُ: "وماذا نَفْعَلُ لَكِ وَنَحْنُ طُيورٌ؟".



قالتِ القُبّرَةُ: "نَهْجُمُ عَلَيهِ مُجْتَمِعِينَ، وَنَنْقُرُ عَيْنَيْهِ، حَتّى يَفْقِدَ البَصَرَ".

"وَهَلْ يُمْكِننا ذَلِكَ؟".

رَدَّتِ القُبَّرَةُ بِثِقَةٍ :

"بِكُلِّ تَأْكيدٍ".

ذَهَبَتِ الطُّيورُ إلى المَكانِ الَّذي يَعيشُ فِيهِ الفِيلُ، وَحَطَّتْ على رَأْسِهِ، وَأَخَذَتْ تَنْقُرُ عَيْنَيْهِ بِشدَّةٍ.

حاوَلَ الفِيلُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ هذا الهُجُومَ، وعِنْدَما عَجِزَ عَنْ ذَلِكَ شَرَعَ بالصُّراخِ والعَوِيلِ، فَلَمْ يُنْجِدْهُ أَحَدٌ.





وعِندَما تَأَكَّدَتِ الطُّيورُ من

أنهُ لَمْ يَعُدْ قَادِراً عَلى الإبْصارِ، توقَّفتْ عَنِ

الهُجومِ وطارَتْ بَعيداً.

شَعَرَتِ القُبَّرَةُ بالارْتِياحِ بَعْدما انْتَقَمَتْ

لِنَفْسِها مِنَ الفِيلِ .

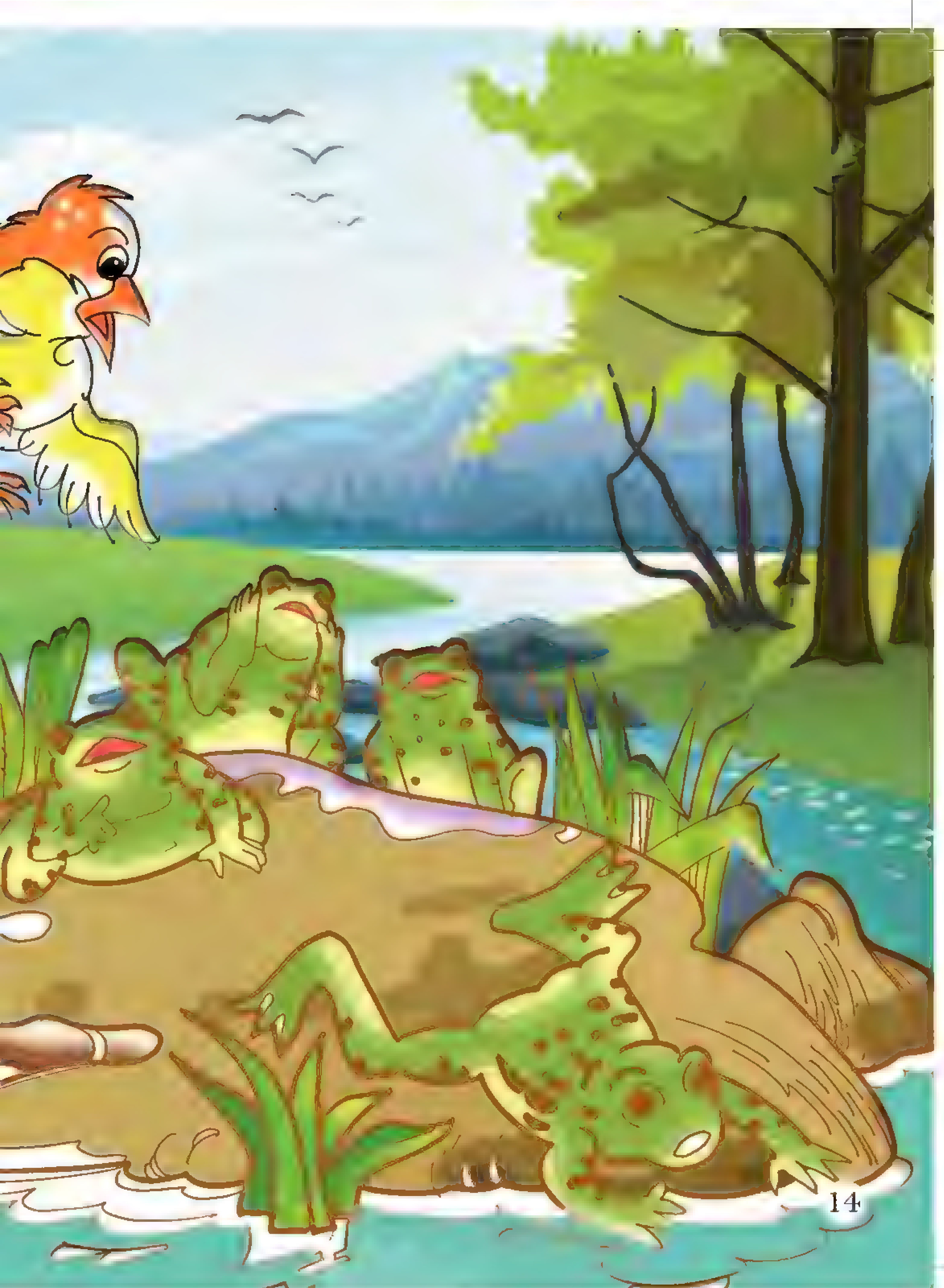
ولَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنسى فِراخَها الَّتي

كانَتْ على وَشْكِ الخُروجِ مِنَ

البَيْضِ.

فَتَمَلَّكَها الحُزْنُ ثانِيَةً ، وعاوَدَتْها

الرَّغْبَةُ بِمُواصَلَةِ الانْتِقامِ.

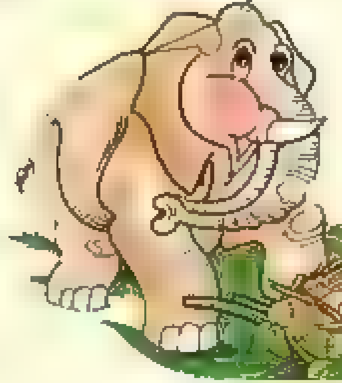
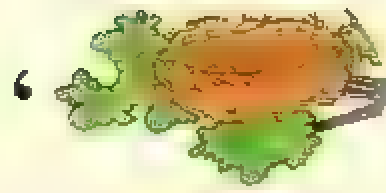


ذَهَبَتِ القُبَّرَةُ  إلى غَدِيرِ ماءٍ،

فَوجدَتْ فِيهِ ضَفادِعَ 

كَثِيرَةً.

دَنَتْ مِنْهُنَّ وَرَوَتْ لَهُنَّ ما صَنَعَهُ الفِيلُ

المَغْرورُ  بِعُشِّها ،

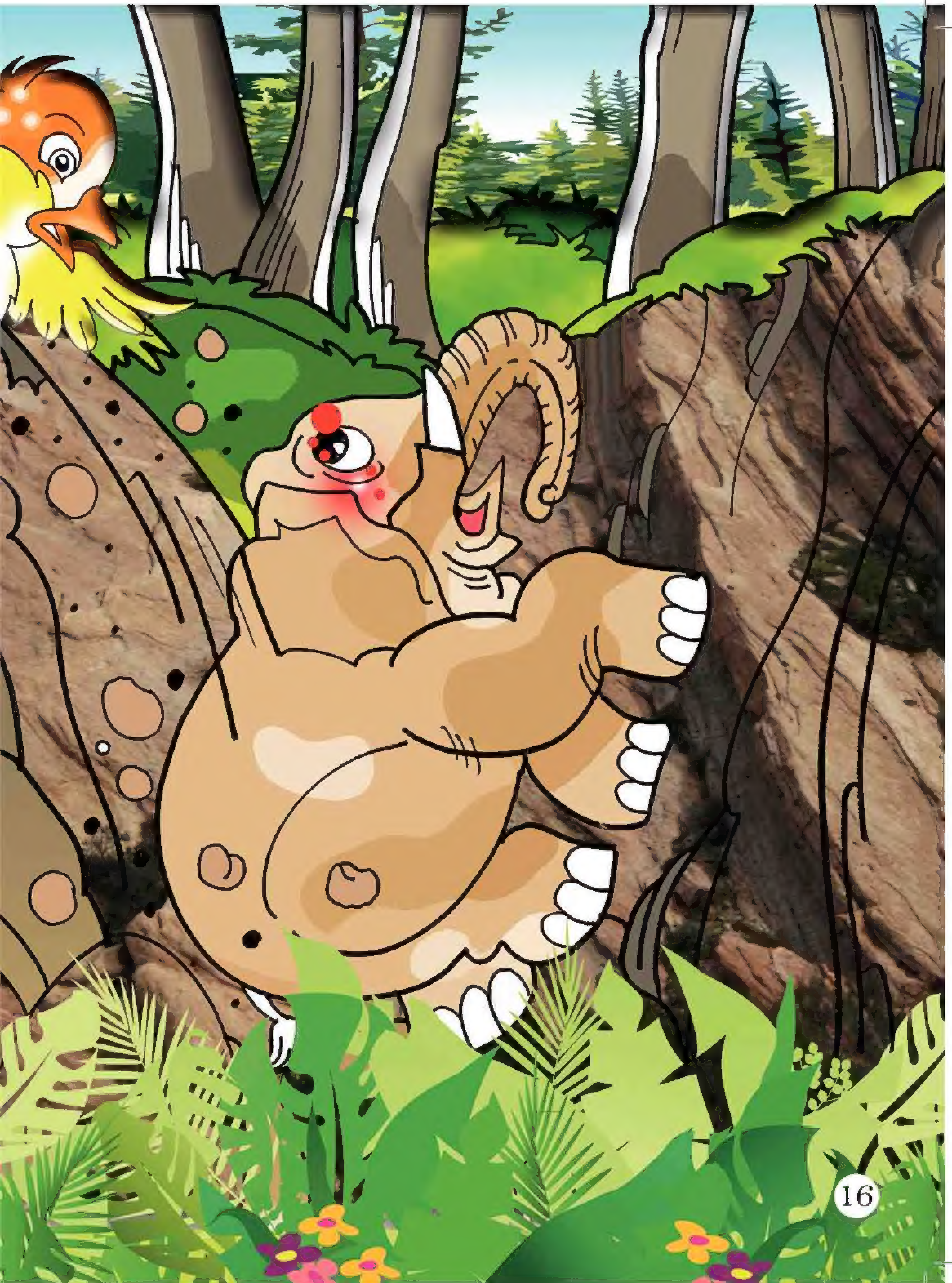
فَرَقَّتْ قُلوبُهنَّ لَها وشَرَعْنَ بِالبُكاءِ.

بَعْدما كَفْكَفْنَ دُموعَهنَّ، التَفَتْنَ إليها

قائِلاتٍ:

"وماذا تَسْتَطيعُ الضَّفادِعُ الصَّغيرةُ أَنْ تَفْعَلَ

إزاءَ فِيلٍ عَظيمٍ؟".



رَدَّتِ القُبّرةُ  : "تَذْهَبْنَ مَعِي إلى جانبِ حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ، وَتَأْخُذْنَ بالنّقِيقِ. فَإذا مَرَّ الفِيلُ، تَوهَّمَ أنَّها بِرْكَةُ ماءٍ فَيَقَعُ فِيها".

ذَهَبَتِ الضَّفادعُ  إلى جانبِ الحُفْرَةِ، وعَلا نَقيقُهُنَّ.

سَمِعَ الفِيلُ نَقِيقَ الضَّفادِعِ، فَمَضى نَحْوَ الصَّوْتِ وَقَدْ أَنْهَكَهُ العَطَشُ.

واقتَرَبَ كَثيراً حَتّى وَقَعَ  في الهاوِيَةِ، وأَشْرَفَ على الهَلاكِ.



جاءَتِ القُبَّرَةُ تُرَفْرِفُ  على

رَأْسِهِ وصاحَت بِهِ:

"أَيُّها الطَّاغيةُ المَغْرُورُ، هَلْ ما زِلْتَ تَحْتَقِرُني؟ وَهَلْ رَأيْتَ ما أسْتَطِيعُ أَنْ أفْعَلَه بِكَ على صِغَرِ جِسْمي؟".

لَمْ يُجِبِ الفِيلُ  ، فَقَدْ لَقِيَ جَزاءَ استِهانَتِهِ بالآخَرِين وَظُلْمِهِ لَهُمْ.

وَأَدْرَكَ بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ أَنَّ الصَّغِيرَ إذا اشْتَدَّ حَزْمُهُ أَقْوى مِنَ الكَبِيرِ وإنْ عَظُمَ جِسْمُهُ.